ذكرى الدكتور مشرفة

أول عميد مصرى لكلية علوم فؤاد

للدكتور عطية مصطفى مشرفة

دار الفلك دورته وتعاقبت الأيام والليالى فنسج منها الزمن سنة أخرى ؛ فهى مثل هذا اليوم (١٦ / ١) منذ ثلاث سنوات استرد الله وديعته العالية عندما اقتحم الموت باب عالم مصر الفذ وهو يرتشف قدحاً من الشاى ويستمد لمواصلة أبحاثه التى لم تحتجب نورها إلا بموته

لم يتعب الموت فى أن يفك عن روحه قيد الجسد لأن الجسد كان ممزقاً من طول ما أنهكه صاحبه من نضال مر سببه ضمير حى ونشاط جم وذهن موهوب فصعدت روحه إلى ربها فى سلام يشبه وميض البرق

وعند هـذا الباب الذى دخله الموت وخرج فى ثوان معدودات يقف التاريخ طويلا ليسجل آثاره ومناقبه ومكانته العلمية المرموقة

كان الفقيد الكريم أول رئيس لاتحاد الجامعة فبث فى برلمانه الصغير المثل العليا فتخرج فيه أعضاء عديدون كان منهم الوزراء الصالحون وأعضاء البرلمان المتنحون فى برلمان الأمة

وقد لمست جهده فى أولئك الرجال الذين كونهم ووجههم وبث فيهم من روحه

وكان رحمه الله يرى أن الدراسة الجامعية يجب أن تعتمد على مجهود الطالب فى البحث والكلام . وما الأستاذ إلا مرشد وموجه وموضح ، لذلك كان الاطلاع هو الطريق الصحيح لمبادئ العلوم وآفاق البحث والكشف فى رأيه ؛ فربى فى طلبته ملكات حب العلم والتعمق فيه وحب البحث العلمى ، وبذلك أخرج للبلاد فيلقا من العلماء الباحثين الذين يطلبون الحقائق العلمية لذاتها . وكثيرا ما سمعته يقول «خير للكلية أن تخرج عالما كاملا من أن تخرج كثيرين أنصاف العلماء» وكانت خسارته على البلاد فى تلك النهضة العلمية التى غرس شجرتها فى كلية العلوم فتفلغلت جذورها وامتدت أعوادها وانتشرت ظلالها فنهضت حتى وصلت إلى مكانها المرموق فى الأوساط العلمية بما أفاض عليها من عبقريته وسعة إطلاعه وخصب ثقافته والتى لم يرض — طيب الله ثراه — أن يكون لأحد عليها من سلطان سوى التقاليد الجامعية الحرة مما زاد فيها مشعل العلم تألقاً وتوهجاً وجعل هـذه التقاليد النبراس المضئ والشعلة الوهاجة ؛ وبذلك أنشأ جيلا من غرس يديه لا يمكن أن يثبط أحد من همته وعزيمته أو يثنيه عن حماسته وبنيته لأنه قد اتخذه قدوة له

واستطعت أن أرى مجهوده فى الحركة العلمية التى بناها على أكتافه وتعهد مراحل تطورها مرحلة بعد مرحلة ورفع اسمها فيما وراء البحار بما بث فيها من روح البحث الصحيح وبذلك أنشأ مدرسة فى البحث العلمى العميق يرجع اليها الفضل فى شق الطريق لايجاد طبقة فريدة من العلماء ورجال الفكر الممتازين لأنه بناها على أساس من الدأب والجد والاستقامة وشيدها بوسائله المنتجة المثمرة فسارت على السنن القويمة ونهجت النهج الكريم فوسائلها

صلاح الدين للافرنج وقفات عنيفة حطمت آمالهم ، فلم يظفروا بغير امتلاك عكا ، واضطروا إلى النزول على ما شرطه السلطان ، وفى ذلك يقول ابن الساعاتى يمدح صلاح الدين :

سل عنه قلب الأنكتير ، فإن فى ... خفقانه ما شئت من أنبائه

لولاك أم البيت غير مدافع ... وأسال سيل نداه فى بطحائه

وبكت جفون القدس ثانية دما ... لترنم الناقوس فى أفنائه

وكان إعجاب مؤرخى المسلمين عظيما بصبر الإنجليز ، وسياستهم فى اللين حينا والشدة حينا آخر ، ولكن غلب سياستهم إيمان صلاح الدين وقوة ثباته ورباطة جنانه .

أحمد أحمد بدوى

مقصورة على صحة الحجة وسلامة البرهان ووضوح الدليل وبذلك أحدثت هزات عنيفة فى المجتمع العلمى من الحيوية والنشاط وأصبحت كالنور الذى يشق حجب الظلمات

ومن كلماته المأثورة التى تعتبر دستوراً للتقاليد الجامعية قوله — رحمه الله — « إنى لا أطلب من القادة والحكام فى مصر سوى ترك الجامعة تؤدى رسالتها السامية بعيدة عن الميول السياسية وترك الطلبة لإتمام دراستهم فى هدوء واستقرار »

وقوله « إن أفضل الزعماء والكبراء عندى هو من يؤدى للجامعة مساعدة ويشد أزر العلم ويعاون العلماء على أداء رسالتهم فى هدوء ويحفظ لهم كرامتهم واستقلالهم » وتلك مبادئ سامية سطع نورها فى عهدنا الجديد

وترن الآن فى أذنى بعض ما أورده بعض أعلام الفكر والرأى فى جنبات قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة فى حفلة تأبينه فأستمد منها قول أستاذى الجليل الدكتور طه حسين أطال الله بقاءه « فارقنا مشرفة فلم نمتحن فيما كان قلوبنا تضمر من ود وحب ، ولم نمتحن فيما كنا نستمتع به من زمالة وإخاء فحسب ، ولكن مصر كلها امتحنت فى علم من أعلامها ومن أعظم أعلامها ارتفاعاً وبعد ذكر فى الآفاق ، وشر المحن هو هذه المحن التى لا سبيل إلى تعويضها ولا إلى العزاء عنها ، فأمثال مشرفة من النابغين النابهين الذين يرفعون ذكر أوطانهم والذين يضيفون إلى الكنوز الإنسانية فى العلم والمعرفة ، أمثاله قليلون إذا خسرهم الوطن فلا بد من صبر وانتظار متصل قبل أن نظفر بمن يخلفهم ، وإذا فقدهم العلم فلا بد له كذلك من انتظار حتى يجد ما سيتم ما بدأه »

ولا تزال كلمة أعضاء مجلس كليته ترن فى أذنى عن الفقيد العظيم اعترافاً بجميله على كلية العلوم حيث يقولون « وكلية العلوم التى بذل الفقيد من أجلها الكثير لإعلاء شأنها وتدعيم أركانها لن تنسى فضله عليها ، وستبقى مبادئه وتعاليمه التى رسمها لها نبراساً تهتدى به ، وسيظل اسمه خالداً رمزاً على النبوغ والتضحية ، ومثلا رفيعاً للقيام بالواجب وتحمل المسئولية والتفانى فى خدمة العلم والعلماء »

ويكفى للدلالة على مكانة الفقيد الرفيعة بين مصاف العلماء فى الدنيا أنه كان أحد الباحثين القلائل فى الذرة ، ومن العلماء القلائل الذين يفهمون النظرية النسبية حتى أن السير أوين رتشاردسون البحاثة الكبير فى العلوم الرياضية قال عقب موت الفقيد « إنه كان من أعظم علماء الطبيعة الرياضيين البارزين فى العالم وإن وفاته فى هذه السن المبكرة جاءت خسارة لا تقدر للعلم لا فى مصر وحدها بل فى جميع أنحاء العالم أيضا »

فإن غاب نجمه عن الناظرين فهو لا يزال من وراء الأفق سيبث أشعته فى قلوب من آمنوا برسالته ، وهو وإن همد قلبه فإن ذكراه العاطرة لا تزال تملأ الوجود

فلتذهب سيرته العاطرة فى التاريخ قدوة مثلى يفخر بها المصريون جيلا بعد جيل لأن اسمه سوف يبقى خالداً ما بقى فى مصر جيل يؤمن بالبحث العلمى وفائدته

وفى ذمة الله هذا الطراز النادر الكريم من الرجولة والوفاء والعلم

دكتور عطية مصطفى مشرفة

استجابة لرغبة الطلاب والطالبات

جعلنا ثمن العدد من

الروايـــة

ثلاثة قروش بدلا من خمسة